كاتب وباحث إيراني للوفاق:

"محمود حكيمي" رائد الأدب الديني

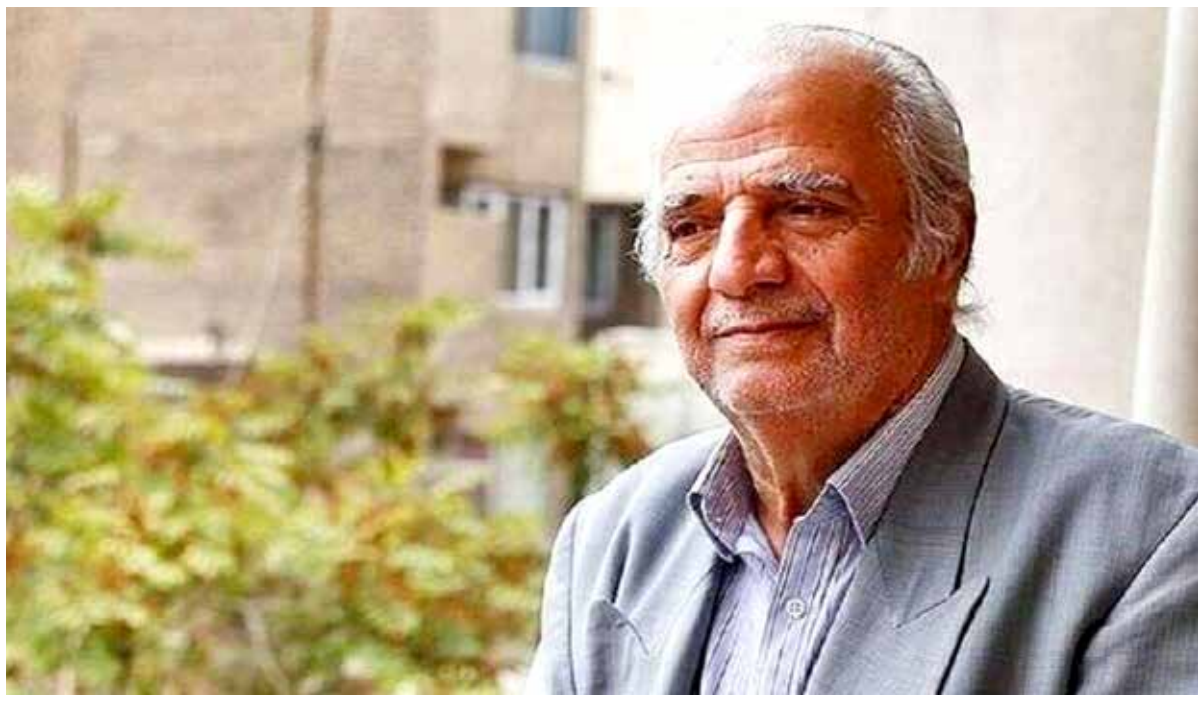

يعتبر الأستاذ محمود حكيمي الأدب نموذجاً لتجربة الحرية إلى جانب الترفيه والمعرفة، فقد وضع مبادئ كتابته القصصية في سياق قصص «ألف ليلة وليلة»، ولغته كانت بسيطة ومفهومة. للتعرف أكثر على أعمال وآراء الأستاذ محمود حكيمي؛ أجرينا الحوار التالي مع مهدي كاموس، الكاتب والباحث وأحد أصدقائه المقربين، فيما يلي نصّه:

الوفاق
أصغر علي كرمي

أشار كاموس إلى أن الأستاذ محمود حكيمي كان أحد نشطاء حركة الثورة الإسلامية وكان حاضراً في نوفل لوشاتو بين أنصار الإمام الخميني(رض)، وهو مؤلف مجموعة "تاريخ الحضارة للمراهقين" المكونة من ٢٢ مجلدًا منذ الأربعينيات وكان عضوًا في هيئة تحرير مجلة "مكتب الإسلام" الشهرية، وكانت أعماله الخيالية في الستينيات ضد النظام البائد وكان ناشطاً في إيقاظ جيل الشباب.

وقال كاموس: حتى نهاية حياته كان الأستاذ محمود حكيمي يعتبر إصلاح نظام التعليم هو السبيل لإصلاح المجتمع، وقد رأى في أهل البيت(ع) أسوة حسنة للإنسان الكامل، واعتبر محمود حكيمي مدرسة أهل البيت(ع) مدرسة الحب.. ومن ناحية أخرى، كتب مقالات وقصص لتنوير أفكار جيل الشباب حول الوهابية والبهائية، واعتبر سبيل إنقاذ إيران العزيزة في وعي جيل الشباب لمدرسة أهل البيت(ع). وتابع: حكيمي الذي كان أكثر ما يفخر بلقب "خادم الثقافة العاشورائية" حاصلاً على شهادة فنية من الدرجة الأولى من بين عشرات الأوسمة، في السنوات الأولى للثورة، وبناء على طلب الشهيد رجائي، قام بتأليف كتب التاريخ للمرحلة المتوسطة وتصحيح ٧٠ كتاباً مدرسياً.

وذكر كاموس أن الأستاذ محمود حكيمي كان مثالاً لمن عاش سعيداً ومات سعيداً، وقال: هو لم يسع قط إلى منصب، وبكونه معلماً ومؤلفاً لأكثر من ١٣٠ كتاباً، كما عاش حياة كريمة وبكتابة كُتُب خيالية قبل الثورة وكُتُب تاريخية وعلمية للمراهقين بعد الثورة.

وأكد كاموس، في معرض التعريف بأعمال الأستاذ محمود حكيمي، قائلاً: أنه في كتاب "نابليون بونابرت" شرح سيكولوجية الشخصية ودور التاريخ الاجتماعي الأوروبي في تكوين شخصية نابليون، مما يظهر فهمه المتعدد الأوجه للإنسان. كما بيّن الأستاذ محمود حكيمي دور السياسة في تربية الإنسان وتكوين مجتمع لا مبال ومستبد في نظام تعليم المستبدين في كتاب "تعليم المستبدين".

وبحسب كاموس، فإن الوظيفة الأساسية للأستاذ حكيمي هي التدريس، وكانت له وجهة نظره الخاصة في هذا المجال، مما جعلته معلماً لا مثيل له، وقال: إن الأستاذ محمود حكيمي الذي اطلع على الأفكار الجديدة في العالم من خلال دراسته باللغتين الإنجليزية والألمانية، كان يعرف أساليب التعليم؛ لكنه سرعان ما توصل إلى نتيجة مفادها أن التعليم المتخصص، بغض النظر عن تنمية الأخلاق، يصنع الإنسان فرداً واحداً فهو يجعل المجتمع كتلة. ولذلك رأى علاقة ذات اتجاهين لا تنفصم بين تعليم المعرفة وتهذيب الأخلاق. وتظهر كتبه أن المهم بالنسبة للأستاذ هو الإنسان وأن التعليم يلعب دوراً أساسياً في بناء المجتمع والتاريخ. ولهذا السبب يُعتبر محمود حكيمي معلماً وكانت روحه مهتمة بالتعلم في كل لحظة، وكانت ممارسته هي التساؤل المستمر، وأخلاقه هي المناقشة والجدل والنقد المستمر لنفسه وللعالم، وكان سلوكه في التعليم يتبع مدرسة الحب، وكان يعتقد أن التعلم لن يتم إلا إذا تم ترسيخ الحب والمودة بين الطلاب.

وبعد الثورة الإسلامية، استمر محمود حكيمي في التدريس في المدارس الثانوية والاستثنائية والموهوبين والمكفوفين، وألف للطلاب والشباب تاريخ الحضارة في ٢٢ مجلداً والموسوعة الحديثة في ٦ مجلدات.

وفي إشارة إلى التاريخ النضالي للأستاذ محمود حكيمي فيما يتعلق بشخصيته ونشاطه الثوري، قال كاموس: إن محمود حكيمي، الذي بدأ الكتابة في الأربعينيات من خلال نشر مقالات سياسية في الصحف الشهيرة في تلك السنوات، ذهب مبكراً وفي الوقت المناسب إلى عالم الأطفال ودرس وتعاون مع الأستاذ عباس يميني شريف رئيس تحرير صحيفة كيهان للأطفال، ومن جهة أخرى أصبح مدرساً في مدارس طهران ثم في مدينة قم المقدسة. واعتبر حكيمي أن المعرفة الإنسانية والتجربة البيولوجية البشرية غير مكتملة لحياة الإنسان، ومثل العديد من معاصريه، لم يشعر بأنه مجبر على قبول العالم المادي والموقف المادي. ومن ناحية أخرى، لم يكن الموقف اللامبالي وغير السياسي للأديان تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية للمجتمع، خاصة في إيران العزيزة، مقبولاً.

بعد انتشار الفكر التكفيري ونشوء تنظيم القاعدة وداعش الإرهابيين في العالم، انتقد الأستاذ حكيمي لامبالاة كُتّاب أدب الأطفال والشباب، وكتب قصصاً في مجلة «مدرسة الإسلام» لتسليط الضوء على انحراف المعتقدات الوهابية

وأضاف: بدأ الأستاذ محمود حكيمي، بما لديه من معرفة بتاريخ الأديان ومهارته في الكتابة وإلمامه بالمراهقين في المدارس والجماعات الدينية، بكتابة قصص متتالية من تاريخ الأديان بهدف إعلام وتثقيف جيل الشباب وتنوير وإيقاظ المجتمع في مجلة "مدرسة الإسلام".. لقد رحب الناشئة والشباب المحتجون على النظام البائد والمهتمون بربط الدين بالمجتمع بهذه القصص لدرجة أن أعمال محمود حكيمي أصبحت من أكثر الكتب مبيعاً.

وبعد انتصار الثورة، تحولت بعض هذه القصص إلى مسارح وأفلام، وشكّل مؤلفو الأسلوب الثوري الجديد، بعد هذه الأعمال، الأدب الديني للأطفال والمراهقين بعد الثورة، وأحيانًا ابتكروا أعمالًا خالدة، ووجد محمود حكيمي مكانة رائد الأدب الديني.

وأضاف: الأستاذ حكيمي بعد انتشار الفكر التكفيري ونشوء تنظيم القاعدة وداعش الإرهابيين في العالم، انتقد لامبالاة كُتّاب أدب الأطفال والشباب، وكتب قصصاً في مجلة "مدرسة الإسلام" لتسليط الضوء على انحراف المعتقدات الوهابية ودور المدارس الدينية في العالم في تنمية المعتقدات التكفيرية.

الأستاذ محمود حكيمي في سطور..

وُلِدَ محمود حكيمي في طهران عام ١٩٤٣م وبعد أن أكمل تعليمه الابتدائي والثانوي، إلتحق بجامعة "تربيت معلم" لدراسة اللغة الإنجليزية. وبعد أن قام بالتدريس في مدارس طهران لفترة، ذهب إلى إنجلترا لمواصلة دراسته. بعد حصوله على الماجستير وبعد عودته إلى إيران، قام بالتدريس في مراكز تدريب المعلمين. وأثناء تقاعده، كرّس نفسه لعمله المفضل وهو البحث والكتابة في مجال الأدب الثوري الإيراني المعاصر وتاريخ الحضارة.

وكان كتابه الأول بعنوان "اشراف زاده قهرمان/ النبيل البطل"، وهو عبارة عن سيرة مصعب بن عمير، الصحابي الشجاع للرسول الكريم(ص)، وقد لاقى استحسان القُرّاء الشباب. وبعد سنة ١٩٧١م صدر له كتاب "حسين بن علي(ع) پيشواي آزادگان/ الحسين بن علي(ع) أمير الأحرار"، و"الطاغوت"، و"المحاربون العلويون"، و"شهداء الفخ"، و"أناشيد التحرير"، و"القسم المقدس"، كانت من أعماله التي صدرت قبل الثورة الإسلامية.

بعد الثورة الإسلامية، نشر حكيمي أعمالاً عن حياة المعصومين الأربعة عشر(ع)، خاصة للشباب. كما صدر له كتاب "وجدان/ الضمير" وهو عبارة عن قصة ذات محتوى ديني، والذي صدر في طبعته الثامنة عشرة نظراً لاقبال الشباب عليه؛ لكن العمل الرئيسي والمهم لحكيمي بعد الثورة كان تأليف مجموعة مكونة من ٢٢ مجلدًا عن تاريخ الحضارة أو قصة حياة الإنسان، خاصة للناشئة والشباب. وقام بتجميع حضارات التاريخ الأول على أساس حركة الأنبياء الموحدين: النبي إبراهيم(ع) في بابل، والنبي موسى(ع) في مصر القديمة، والنبي عيسى(ع) في روما القديمة.

ويعتبر حكيمي أن كل هذه التوجهات العلمية في الأدب والتاريخ هي نتيجة النشأة في أسرة متدينة، ودراسة المنشورات الدينية والكتب العلمية بشكل مستمر.

مقتطفات من حياة "محمود حكيمي" بقلمه

هنا نأتي بمقتطفات مما كتبه الاستاذ محمود حكيمي:" والداي كانا أول قدوة في حياتي ، وكلاهما كانا مهتمين جدًا بالتعاليم الدينية وكان لكل منهما علاقة كبيرة بأهل البيت (ع).. وكان والدي يقرأ القرآن بعد الصلاة ولم ينفصل حتى آخر أيام حياته عن القرآن الكريم ومفاتيح الجنان. توفي والدي عام ١٩٥٣ بعد صراع طويل مع المرض. لقد عانى كثيرا. ودفناه في مدينة ري بالقرب من ضريح حضرة عبد العظيم الحسني(ع). كلما ذهبت لزيارة حضرة عبد العظيم الحسني (ع) بعد الزيارة أزور قبره. أنا عادة لاأبكي أثناء قراءة الحمد والسورة. كلما تذكرت حرمانه ومعاناته، أتأثر بشدة. أنا حقا أحب أن أراه في المنام. وفي أيام تاسوعاء وعاشوراء، كنت أذهب معه إلى الهيئات الدينية للحداد. والحقيقة أن والدي زرع بذور المحبة والمودة لأهل البيت (ع) في قلبي، وكانت أمي تسقيها، وعندما كبرت اتجهت إلى الأدب الديني، كان والدي جلال حكيمي قد عانى كثيراً في حياته. كلما حاولت أن أكتب قصة حياته، لم يكن يمهلني البكاء. كان والده شيخا تقيًا ومشرفًا للغاية، واضطر إلى ترك زي رجال الدين في عهد رضا شاه. كان والد والدتي شيخًا أيضًا. وكان عمي الذي توفي بعد الثورة الإسلامية من علماء مدينة الري المشهورين، ولأنه كان من حفظة القرآن فقد لقب بـ"صدر الحفّاظ"، ولدت والدتي في كربلاء المقدسة ثم جاءت إلى إيران مع والديها في نهاية عهد ناصر الدين شاه واستقرت في مدينة ري. كان عمي الأكبر أحد الدستوريين، وحسب ما سمعت من والدتي، كان يتعاون مع رجال الدين المؤيدين للدستور. سافرت والدتي إلى كربلاء ومشهد المقدستين عدة مرات. لكن والدي لم يتمكن حتى من الذهاب إلى مشهد المقدسة. وكان يتمنى زيارة الإمام الرضا(ع) بشدة، لكنه لم يستطع. وكان شديد الاهتمام بالقرآن الكريم. وكان مشغولاً في معظم الأوقات بالصلاة أو قراءة القرآن في مسجد لرزادة. وكانت نصائحه ونصائح والدتي فعّالة جدًا في تديني وتعاملي مع الكتب الدينية ومن ثم الكتابة.

في الأربعينيات، لم يتناول الدعاة القضايا السياسية. وتكلم الدعاة كثيرا، وكلامهم في شهر محرم كان في معظمه عن أحداث كربلاء وعاشوراء فحسب. في ذلك الوقت، كان ضغط السافاك كبيراً لدرجة أن الدعاة لم يجرؤوا على التحدث سياسياً. إذا نظرنا إلى ذلك الوقت الآن، أستطيع أن أقول إنه مع الأسف، لم يتم استخدام كل هذا الحماس في اتجاه الطريقة التعليمية. وكانت معظم الأنشطة الدينية للوفود في الأيام العشرة الأولى من شهر المحرم. وفي تلك الحالة، كان من الأفضل بكثير استخدام تلك الحشود الضخمة وكل هذا الحماس لفهم التعاليم الدينية.

أستطيع أن أقول إن وضع التعليم في كثير من المساجد كان أفضل بكثير من المدارس. كان هناك درس لتعليم اللغة العربية في مسجد الحي الذي نعيش فيه.

في ذلك الوقت، لم يكن لدى معظم الدعاة الكثير من المعرفة والمعلومات. ولكن كان بينهم عدد غير قليل من الصادقين، ذوي المعرفة، والمتواضعين. لقد استعنت بالمرحوم "الحاج أكبر ناظم" كثيراً. لقد كان رجلاً محترمًا ومخلصًا. وكان منزله مقابل المسجد. ولم أسمع منه قصائد خفيفة ولا قيمة لها ومبالغ فيها. في أغلب الأحيان، قبل أن يخطب الخطيب في المسجد، يقرأ آيات في مدح الأئمة المعصومين.

وكان لكل واحد من هؤلاء الدعاة خبرة في مجال معين. وكان للمرحوم "الصدر البلاغي" معرفة كثيرة بحياة الأنبياء الموحدين وخاصة نبي الإسلام(ص). وكان يستخدم كلمات نبيلة وجميلة في محاضراته. وكان لديه اهتمام غريب بنبي الإسلام النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله سلم). وقال في إحدى محاضراته إنه حتى من أجل معرفة شخصية نبي الإسلام، فإن القرآن قدمه بأفضل طريقة. كتاب القصص القرآنية كان أول كتاب قرأته للمرحوم الصدر البلاغي وكان له تأثير رائع علي. في هذا الكتاب، يتم وصف حياة الأنبياء بلغة بطلاقة نسبيًا للقارئ. قرأت هذا الكتاب مرتين. وأوصى المرحوم الصدر البلاغي في محاضراته بضرورة الرجوع إلى القرآن لمعرفة الأنبياء.

حاولت التعرف على حياة الأنبياء السابقين من خلال ترجمات القرآن في ذلك الوقت - والتي كانت بها بعض العيوب بالطبع. وبعد فترة اجتاحني شعور غريب. شعرت أنني أحب النبي إبراهيم(ع) بشدة. والحقيقة أن قصة الأنبياء من أحلى القصص التاريخية وأثمرها.

في ذكرى محمود حكيمي.. حكواتي الأجيال

الوفاق
شهاب دارابيان

منذ وقت ليس ببعيد، استضافت إحدى وكالات الأنباء في البلاد رجلاً لعدة أيام في الأسبوع يذكره الكثير منّا بقصص الطفولة واللحظات الجميلة في الكتب المدرسية.

كان "محمود حكيمي" كاتباً ارتبط اسمه بالقصص التربوية والدينية المحفورة في الأذهان، كان يأتي إلى مكتب التحرير عدة مرات في الأسبوع ويعامل زملاءه بكل بساطة وحميمية كما لو كان صديقاً قديماً.

الله يذكره بالخير، الأستاذ حكيمي، بأفكاره النقية والجديدة التي كانت في ذهنه، كان دائمًا يقدم الأفكار لزملائه الشباب ويقول بابتسامته المعتادة: "إذا كانت مهمة صعبة، فسنقوم بها معًا". من تقديم التعاون إلى الاستماع إلى أحاديث الآخرين ومشاكلهم، كان دائمًا بجانبنا وأعطانا روحًا فريدة من نوعها. كان صدقه وأخلاقياته في العمل درسًا عظيمًا للجميع. ربما لم نكن نعرف حتى أنه هو من كتب القصص التي لا تنسى في كتبنا المدرسية؛ لكننا أحببناه بكل جملة وكلمة.

كان محمود حكيمي أكثر من كاتب.. كان معلماً ومرشداً للأجيال.. كان يسرد القصص ويقوم بتطوير الأفكار لإيصال الرسائل الأخلاقية والمعرفية. وربما لا أبالغ إذا قلت إن وجوده كان بمثابة داعم. لقد كان رجلاً أخذ أيدينا بقلمه وكلماته وأظهر لنا طريقة أكثر إشراقاً للحياة. والآن بعد أن رحل عنّا، فإن ذكراه لا تزال حية في قلوبنا، وقد ترك لنا إرثاً أبدياً من حب الحكمة والأخلاق.